

كيف تجاهد نفسك؟

الشيخ/ عبد الكريم الخضير

كيف تتم مجاهدة النفس والتغلب على الأهواء مع المحافظة على الصلاة والأذكار وقراءة القرآن؟

مُجاهدة النَّفس، والمُصابرة والمُغالبة لا شكَّ أنَّها تتمُّ بِمُخالفة هوى النَّفس، النَّفس تَميلُ إلى ما حَفَّتْ بِهِ النَّارُ؛ لأنَّها شهوات، تشتهيها النَّفس، وتَميلُ إليها، والنَّار حَفَّتْ بالشَّهوات، فعليك أن تُجاهد نَفْسَكَ في مُقاومة هذه الشَّهوات، الشَّهوة منها المُحرَّم الَّذي لا يَجُوزُ فِعْلُهُ بحال **((إِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ))**، منها المكروهات الَّتِي فِعْلُهَا لا إنَّم فِيهِ إِلَّا أَنْ الْإِكْتِارَ مِنْهَا يَجْرُ إِلَى ارْتِكَابِ الْمُحْرَمَاتِ، مِنْ الشَّهَوَاتِ الْمُبَاحَاتِ لَا إِشْكَالَ فِي ذَلِكَ فِي مُزَاوَلَةِ هَذِهِ الشَّهَوَاتِ الْمُبَاحَاتِ؛ إِلَّا أَنْ الْاسْتِرْسَالَ فِي هَذِهِ الشَّهَوَاتِ قَدْ تَطَلَّبُ النَّفْسَ فِي وَقْتٍ لَا يَكُونُ مَقْدُورًا عَلَيْهِ أَوْ وُجُودًا فَتَجَرُّهُ النَّفْسُ إِلَى بَعْضِ الْمَكْرُوهَاتِ وَهَكَذَا..، وَلِذَا كَانَ سَلْفُ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَتْرُكُونَ بَعْضَ الْحَالِلِ أَوْ حَتَّى قَالَ: تِسْعَةَ أَعْشَارِ الْحَالِلِ خَشْيَةً أَنْ يَقَعُوا فِي الْحَرَامِ، فَإِذَا تَقَلَّلَ الْإِنْسَانُ مِنْ هَذِهِ الْمُبَاحَاتِ، وَجَمَعَ ذَهْنَهُ وَحَصَرَ نَفْسَهُ عَلَى فِعْلِ الطَّاعَاتِ وَجَاهَدَ؛ يُوقِّقُ، وَإِذَا صَدَقَ اللَّجَأُ إِلَى اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وَانْكَسَرَ وَانْطَرَحَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَسَأَلَهُ الرَّغْبَةَ وَالْإِقْبَالَ، وَالتَّلَذُّذَ بِمُنَاجَاتِهِ، الْإِشْكَالَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ تَبِعًا لِمَا جُبِلَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ مِنْ كَوْنِهِ مَدَنِيَّ الطَّبَعِ، يَكْرَهُ الْعُزْلَةَ، يُحِبُّ الْخُطْأَةَ، جُبِلَ الْإِنْسَانُ عَلَى ذَلِكَ؛ لَكِنْ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ، وَتَلَدَّدَ بِمُنَاجَاةِ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-، وَذِكْرِهِ، وَتِلَاوَةِ كِتَابِهِ، تَجِدُهُ أَحْرَصَ مَا يَكُونُ عَلَى الْعُزْلَةِ، وَلَمَّا لَمَّا قِيلَ لِابْنِ مَعِينٍ: مَاذَا تَنْتَمَى فِي الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ؟! فَمَا أَمْنِيَّتُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ؟! بَيْتٌ خَالٍ، وَسِنْدٌ عَالٍ، الْآنَ لَوْ يَجْلِسُ إِنْسَانٌ فِي بَيْتِهِ، أَهْلُهُ فِي زِيَارَةٍ مِثْلًا وَهُوَ جَالِسٌ، يَضِيقُ بِنَفْسِهِ، تَضِيقُ بِهِ الدُّنْيَا ذُرْعًا؛ لِأَنَّهُ مَا تَعَوَّدَ عَلَى الْخُلُوةِ، وَكَيْفَ يَسْتَعِجِلَ هَذِهِ الْخُلُوةَ! وَكَيْفَ يَسْتَقِيدُ مِنْ هَذَا الْفَرَاغِ! الْفَرَاغُ يَا الْأَخْوَانَ نِعْمَةٌ، كَمَا أَنَّ الصِّحَّةَ نِعْمَةٌ **((نِعْمَتَانِ مَعْبُودُونَ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ))** الْيَوْمَ فَارِغٌ مَا عِنْدَكَ شَيْءٌ، لِمَاذَا لَا تَسْتَعِجِلَ هَذَا الْفَرَاغَ بِمَا يَنْفَعُكَ؟! يَسْرُكُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ تَرَاهُ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّكَ تَنْشَغِلُ بَقِيَّةَ عُمْرِكَ؟! سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ تُقَالُ فِي دَقِيقَةٍ وَنِصْفِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ، فِي الصَّحِيحِينَ وَغَيْرِهِمَا لَا أَحَدٌ يَقُولُ لَنَا أَجْرٌ عَظِيمٌ رُتِبَ عَلَى عَمَلٍ يَسِيرٍ وَهَذَا دَلِيلٌ، لَا أَبَدًا هَذَا حَدِيثٌ فِي الصَّحِيحِينَ وَغَيْرِهِمَا لَيْسَ لِأَحَدٍ كَلَامٌ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ **((...مَنْ قَالَهَا فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ))** يَا الْأَخْوَانَ مَتَى يَنْصَاقُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْإِنْتِظَارِ؟، الْآنَ مَنْ أَسَقَّ الْأُمُورَ عَلَى النَّفْسِ دَقِيقَةَ الْإِنْتِظَارِ، لَا نَقُولُ سَاعَةَ الْإِنْتِظَارِ! مِنْ أَسَقَّ الْأُمُورَ عَلَى النَّفْسِ، لِمَاذَا؟! لِأَنَّا مَا رَبِينَا أَنْفُسَنَا عَلَى اسْتِغْلَالِ الْأَوْقَاتِ، وَلَوْ أَنَّ الْإِنْسَانَ بَدَلَ مَا هُوَ مُنْتَظَرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، تَأَخَّرَ صَاحِبِي خَمْسَ دَقَائِقَ، لَيْتَهُ تَأَخَّرَ سَاعَةً، اسْتَعِجَلَ وَفَيْتِكَ بِالذِّكْرِ وَالْفِكْرِ، تَقَكَّرَ يَا أُخِي مِمَّا يَزِيدُ إِيْمَانَكَ، وَيَقِينِكَ، وَارْتِبَاطَكَ بِرَبِّكَ.